ابو الحسن علي الحسني الندوي

نحن الآن في المغرب

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامي العلمي
ص . ب - ١١٩ ، ندوة العلماء
لكناؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى » ـ لكناؤ (الهند)

رقم - ٩٩

★

الطبعـــة الثـانية

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

★

قام بالنشر

محمد غيـاث الدين الندوى

المطبعة النـــدوية

(AP-SN: 53)

ندوة العلمـاء ـ لكهنؤ (الهنـــد)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

الحمد لله رب العـالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، أما بعـــد !

فقد سافر سماحة أستاذنا الكبير السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، أثناء وجوده فى الربوع المقدسة ، إلى المغرب العربى الأقصى لأول مرة على دعوة من المسؤلين عن رابطة الجامعات الاسلامية ، فى الأسبوع الأول من شهر جمادى الأولى عام ١٣٩٦هـ المصادف شهر أيار عام ١٩٧٦ م ، للحضور فى مؤتمر رابطة الجامعات الاسلامية الذى عقد فى الرباط فى الفترة ما بين ١١/و١٧/ أيار ، لدراسة المشكلات التعليمية و التربوية و وضع حلولهـا ، ومسائل المعاهد الكبرى

www.abulhasanalinadwi.org

و المؤسسات التعليمية فى العالم الاسلامى .

و قد نظم رحلته هذه معالى الشيخ محمد صالح القزاز أمين عام رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، ورجا من سماحة الشيخ الندوى أن يمثل رابطة العالم الاسلامى فى هذا المؤتمر ، فسافر مع مرافقه العزيز الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى رئيس قسم الأدب العربى بدار العلوم ندوة العلماء الذى مثل ندوة العلماء فى هذا المؤتمر .

و انتهز سماحة الشيخ الندوى فرصة وجوده فى هـذه البقعة الاسلامية الطيبة و البلد العربى الجميل ، فخاطب أهله و تحدث إليهم بما فاض به قلبه المؤمن من عواطف الحب و الأخوة و بما هبت عليه من نفحة الايمان و الحنان يوم وطئت قـدماه أرض المغرب الاسلامى العربى ، كشأنه فى جميع الأقطار والبقاع التى زارها فخاطبها بكلام رقيق جميل فى أسلوب الداعية الحكيم ، والعارف بقضايا الشعوب ومصاير الأمم ، و من الذى لم يقرأ « إسمعياته » يوم زار مصر

www.abulhasanalinadwi.org

و الشام ، و الحجاز و الكويت و إيران ، و لم يطلع على محاضراته يوم وصل إلى لندن و برلين و جنيف وباريس و مدريد .

أما هذه الكلمة القيمة التى هى بأيدينا و التى بدأها فى الرباط فكأنها تفوق أخواتها فى فصل الخطاب والضرب على الوتر الحساس و البيان الساحر الخلاب ، و هى إذا كانت تشرح الوضع الحالى السائد على الأقطار الاسلامية والدول المسلمة ، و ما دخل فى قلوب المسلمين من يأس من عودة الحياة الاسلامية الصحيحة و المثل الخلقية العليا إلى مجتمعهم ، و من تشاؤم بالفساد الشامل الذى حل ببلادهم وغزا عقر دارهم ، فهى تقدم لهم الحل الوحيد لا زالة هذا الوضع و تنير لهم الطريق إلى الغاية المشرقة .

كما أنها تنطوى على عصارة تاريخ المغرب الاسلامى الأقصى وصلته بالدعوة الاسلامية والبطولة العربية ، و الكفاح المخلص ضد كل واغل و دخيل ، الأمر الذى لا يتسنى

www.abulhasanalinadwi.org

لدارسى تاريخ هذه البلاد إلا بعد مراجعات طويلة وعكوف طويل على دراسة الموضوع .

و نرجو أن تعم فائدة هذه الكلمة القيمة جميع القراء و الدارسين و يتحقق بها ما أراده المؤلف الكبير من إبداء الرأى و بذل النصح للشعب و أولياء الأمور و قادة الفكر و رجال التربيـــة و التخطيط الحضارى ، و ما ذلك على الله بعزيز .

سعيد الأعظمى الندوى
مدير تحرير مجلة « البعث الاسلامى »
١٧/ جمادى الثانية ١٣٩٦ هـ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

قدرت لى زيارة أكثر الأقطار الشرقية الاسلامية فى شرخ الشباب ، و فى فجر الحياة و ظهرها ، وتأخرت زيارة المغرب الاسلامى العربى الحبيب - لحكمة يعلمها الله - إلى أن دنا الأصيل و مالت شمس الحياة إلى المغرب .

لقد تأخرت زيارة المغرب الحبيب جسدياً و بحساب الشهور و الأعوام ، و لكن لم تتأخر زيارته و التعرف به فى ظلال العلم و الدراسة و فى رحاب المكتبة الاسلامية العالمية الواسعة ، التى يشغل فيها المغرب الاسلامى حيزاً كبيراً و له فيها ركن خاص هو من أغنى أركان المكتبة و أجملها ، و قد عشت فى أطيافه ، و عشت مع أعلامه و نوابغه ،

www.abulhasanalinadwi.org

ردحة من الزمن ، وتقلبت بين مدنه و عواصمه ، وجوامعه و جامعاته ، و حكوماته وحضاراته ، وبطولاته ومغامراته ، و عثرته و نهوضه ، و سايرت ركب تاريخه الطويل المليء بالألوان المختلفة ، والأحداث الجسيمة ، التي تمر بها جميع الشعوب الحية الكريمة القوية الراجحة في ميزان الشعوب و الأمم ، الغيور على رسالتها و شخصيتها ، المحاطة بالأعداء و المنافسين من كل جانب .

و قد حتم على المغرب لكونه على مقربة من أوربا و على آخر حدود العالم الاسلامي في جهة الغرب ، أن يكون مرابطاً دائماً ، فليس « الرباط » هو المدينة الواحدة التي هي عاصمته اليوم ، بل المغرب كله الرباط ، و قد أثبت التاريخ أنه كان رباط الفتح .

و كان المغرب المدخل الذي دخلت منه الكتيبة المؤمنة تحت قيادة طارق بن زياد في الأندلس ، و نقطة انطلاق للمد الاسلامي و الاشعاع العلمي العقلي في أوربا ، فكانت دولة ،

www.abulhasanalinadwi.org

و كانت حضارة ، و كان علم ، و كان عقل ، و أصبحت الأندلس أمنية الفاتحين ، وأغنية الشعراء والمتغزلين ، و موضوع المؤرخين والجغرافيين ، و كانت جنة الدنيا ، و سوق العلم ، و مثابة العلماء ، و منتجع الشعراء ، و كانت ذات مدرسة فى الفقه و الشعر و الأدب ، و الفلسفة و الفن المعمارى ، و كانت فيها « مرسية » و « بلنسية » و « جيان » و « شاطبة » و « قرطبة » و « اشبيلية » و « غرناطة » ، و كانت فيها مدينة « الزهراء » و قصر « الحمراء » .

و الأندلس مدينة للغرب الأقصى فى فترات كثيرة من تاريخها ، فكان المغرب سنداً لها و مدداً ، يغيثها فى أحلك فترات التاريخ و أدقها ، بأبطال مجاهدين و قادة مغامرين ، ينقذونها من الاحتضار و الانهيار ، و يمنحونها قسطاً من الحياة و القوة ، نخص بالذكر منهم أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين بطل و قعة « الزلاقة » (سنة ٤٧٩ هـ) ، و هو الذى اختط مدينة « مراكش » و القائد المجاهد

www.abulhasanalinadwi.org

أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدى بطل معركة « مرج الحديد » (٥٩١هـ) و هو الذى بنى « رباط الفتح » تذكاراً لهـــذا الفتح المبين ، والمجاهد العظيم على الشريف الحسنى (٧٦٢ — ٨٤٧) جـــد الملوك السجلماسيين العلويين فى المغرب الأقصى و جد الأسرة الحاكمة اليوم ، دخل عدوة الأندلس للجهاد مراراً ، و دعى إلى الملك فزهد فيه ، و قال لا أريد أن أحبط عملى و أشوبه بمنفعة دنيوية .

و عفواً أيها المغرب الحبيب من الانتقال السريع إلى الأندلس ، و دخولها فى هـــذا الحديث الخاص بالمغرب الأقصى ، فقد هبت على نفحة من هذا الفردوس المفقود و جاءنى أريج من أجوائه العطرة و تربته الندية الزكية التى اختلطت بها دموع المسلمين و دماؤهم ، و تجلت فيها عبقريتهم و إنسانيتهم فى أروع مظاهرهـا ، فالأندلس على غلوة من المغرب إذا وقف الواقف على مضيق جبل الطارق ، ولقرب المكان حكم ليس للبعد .

www.abulhasanalinadwi.org

كان المغرب الاسلامى و العربى الذى نشأ و تكون فى أواخر القرن الاسلامى الأول دليلا على إنسانية رسالة الاسلام ، و على قدرته العجيبة على إخراج الأقاليم و الشعوب من إطارها الضيق و من زاوية الخمول و الخمود التى عاشت فيها قروناً طويلة ، و فى بعض الأحيان آلافاً من السنين ، إلى العالم الفسيح ، و من الانطواء على نفسها و الانشغال بالمنافسات القبلية و الحروب الداخلية ، و النظرة الضيقة إلى الحياة و إلى الكون ، إلى مسايرة الركب الانسانى السيار ، بل و إلى قيادته و توجيهه أحياناً و تمثيل دور خاص فى بناء الحضارة و تكوين العلوم ، و العناية بالقضايا البشرية و مشكلاتها و أزماتها . فقد عاش هذا الحزام الشمالى الغربى الممتد من ليبيا إلى المحيط الأطلسى ، مفصولا عن العالم المتحضر المتطور المائج بالحركات و النشاطات و الدعوات الدينية و المدارس الفكرية ، لا شأن له بالعالم الخارجى ، لا تتصل به الامبراطورية الرومانية إلا من الناحية العسكرية ،

www.abulhasanalinadwi.org

والاستعمار الرومانى ، ليست له شخصية متميزة ، و لا رسالة كريمة ، و لم تعرف هذه البلاد المنتشرة من طرابلس إلى مراكش فى تاريخ القرن السادس والسابع الميلاديين فى أكثر الأحيان إلا بالقسوة و الفروسية و شدة الشكيمة ، و تمرد أهلها على الفاتحين ، حتى ضرب بسكانها الأصليين — و معذرة إلى من ينتمى إلى هذه الأصول الكريمة — المثل فى الوحشية والنخوة ، فكانت كلمة « البربر » و « البربرية » مرادفتين لها فى المعاجم و الآداب واللغات الكثيرة ، و لم يعرف عنها نشاط حيوى إلا التشاغل بالحروب الداخلية وشدة التمسك بالعادات القديمة والتقاليد القبلية ، لا لغة راقية ، ولا حضارة رقيقة ، و لا دين معقول ، و لا مدينة مشهورة ، و كل ما أثر عنها من المدنية و العلم فى العصر القديم اندثر و دفن تحت ركام المبانى و أنقاض المدن .

و كان دليلا كذلك على قدرة الاسلام العجيبة على إشعال المواهب ، و تفتيق القرائح ، و تنمية الملكات ،

www.abulhasanalinadwi.org

و تحريك الميول و الرغبات ، و توجيهها إلى غايات نبيلة و جهود هادفة ، و مشاريع بناءة إيجابية ، و النظرة الواسعة المتفتحة إلى العالم و إلى الشعوب و الأمم ، و تسخير الطاقات و استخدام الوسائل لصالح الانسانية ، فلما هبت على هذه الناحية القاصية المجهولة لكثير من المطلعين والدارسين و المؤرخين و الجغرافيين نفحة الاسلام ، قفز إلى الوجود عالم جديد ، كل شئ فيه جديد .

وقامت فيه مدينة « قيروان » و « فاس » و « مكناس » و « مراكش » و « باجه » و « سوسة » و « سرقسطة » و « بجاية » و « تلمسان » و « تونس » أنجبت أفذاذاً فى الحديث و التفسير ، و الفقه و التصوف ، و الشعر والأدب ، و النقد و التاريخ ، و الفلسفة و علوم الحكمة ، يطول استقصاؤهم ، و كانت فيها مدارس كجامع القرويين ، و جامع الزيتونة ، و تخرج منها و درس فيها أئمة فى العلوم و الفنون ، و خلفوا آثاراً باقية بقاء اللغة العربية و العلوم الاسلامية .

www.abulhasanalinadwi.org

و قـد خاض المغرب الاسلامى العربى معارك دامية ، و تعاقبت حكومات و دول ، و أسر و عشائر ، و واجه اضطراباً فى الحكم و انتقـال القوة و القيادة من يد إلى يد و من بيت إلى بيت ، و لـكنه لم يزل محافظاً عـلى شخصيته الاسلامية و طابعه العربى و الحضارى الجميل ، و على هيامه بالعلم والثقافة ، فلم تركد ريح العلم و لم تفتر حركة التدريس و التأليف فى فترة قصيرة ، و لم تزل الجوامع و المدارس تبلغ رسالتها و تؤدى أمانتها ، و لم يزل العلمـاء الربانيون و الدعاة المخلصون يقولون كلمـة الحق و يدعون إلى سواء السبيل ، فكانت هذه التطورات و الانقلابات سطحية عابرة لا تمس جوهر الشعب العربى المسلم و لا تؤثر فى شخصيته و عقيدته ، و كانت التحولات السياسية وتعاقب الملوك على عرش الحكم من أسر مختلفة و تبدل العواصم و مراكز الحكم لا يختلف عن انتقال الملك من يد إلى يد فى أسرة واحدة و توارث الأبناء الآباء ، فالدين هو الدين ، و الثقافة هى

www.abulhasanalinadwi.org

الثقافة ، و الذوق هو الذوق .

ثم منى أخيراً باستعمار — و بالأصح احتلال — هو من أقسى أنواع الاحتلال و أكثرها ذكاءاً وشمولا ، و أدقها تخطيطاً و تصميماً ، و أبعـــدها غايات و مرامى ، و هو الاستعمار الفرنسى يرافقـــه الاستعمار الأسبانى فى بعض المناطق ، و كان استعمارا يجمع بين الصرامة والرقة ، و بين الوضوح و الدقة ، مسلحاً بأقوى أسلحة التطوير وأحدثها ، و كان يرمى إلى إبادة شاملة ، إبادة فكرية ثقافية علميـــة حضارية ، و كان مما استعان به هذا الاستعمار فى الوصول إلى غاياته البعيدة ، الدعوة إلى التمييز العنصرى و التفريق بين العرب و البربر ، و إشعار السكان الأصليين القدامى بقوميتهم وحضارتهم وأعرافهم قبل دخول الاسلام و العرب فى هـــذه المنطقة ، و لا ينسى الجيل الذى هو فى مرحلة الكهولة و الشيخوخة « الظهير البربرى » الذى يدعو البربر المسلمين إلى العودة إلى عهدهم قبل الاسلام و إلى أن يحيوا

www.abulhasanalinadwi.org

لغتهم و يكتبوا بها ، فكانت مؤامرة استعمارية من أدق المؤامرات التى عرفت فى تاريخ الاستعمار و أكبرها خطراً على الوحدة الاسلامية و الوجود الاسلامى .

و لكن المغرب الاسلامى العربى واجه كل ذلك بشجاعة و استقامة و وعى ، و أثبت البربر المسلمون أن إيمانهم لا يقل عن إيمان العرب ، و اعترازهم بالدين الاسلامى وحضارته و ثقافته لا يختلف عن اعتزاز العرب أنفسهم بها .

وخرج المغرب بعنصريه العربى والبربرى ظافراً منتصراً من هذه المعركة ، محتفظاً بشخصيته الاسلامية العربية ، وبعقيدته و بلغته ، و نخوته المغربية ، و زال الاستعمار و أشباحه ، و جلا الفرنسيون و الأسبان ، فكان دليلا على قوة هذا الشعب و جدارته لمواجهة الأخطار و التحديات و المشكلات والأزمات ، و دليلا على تغلغل الاسلام فى أحشائه وجرياته منه مجرى الروح و الدم ، و إخلاص أولئك الرجال الذين وطأوا هذه الأرض فى فجر تاريخ الاسلام و دعوا البربر

www.abulhasanalinadwi.org

إلى أن يشاركوا العرب فى سعادتهم و يأخذوا من هذه الثروة الانسانية المشتركة نصيباً غير منقوص ، و لهم أن يسبقوا العرب أنفسهم فى بعض الأحيان فى قوة الايمان والاعتزاز بالاسلام والتحلى بفضائله و محاسنه و القرب عند الله ، و قد أعلن رب العزة ذلك بقوله : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً وقبآئل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم[1] » ، فكان منهم علماء و زهاد ، و مربون و مصلحون ، و مدرسون و مؤلفون ، و قد انصهروا فى بوتقة الاسلام كما انصهرت بعض شعوب العجم التى حسن إسلامها فى بلاد العجم .

ويخوض المغرب الاسلامى العربى الآن معركة هى أشد من كل معركة حربية جربها و خاضها فى تاريخه الطويل ، و من معركة الاستعمار الأجنبى المباشر فى الزمن الأخير ، فكانت المعارك الأولى التى تحدثنا بها معارك سافرة مكشوفة

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

يستعمل فيها السلاح و تنفع فيها الشجاعة و الفروسية ، و تقرر مصيرها التضحيات فى النفوس و الأموال ، و ينتبه و يثور لها الشعب على اختلاف مستوياته العلمية و العقلية ، فكانت حرباً بين كفر و إسلام ، و معركة بين أبناء البلاد و الأجانب .

و لكن معركة اليوم معركة صامتة هادئة ، معركة دقيقة مقنعة ، هى معركة الصراع بين فكرتين : الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربيـــة بأوسع معانيهما وآفاقهما وأبعادهما ، هى معركة نستطيع أن نلخصها فى قولنا : هل يبقى هذا الشعب و هذه البلاد إسلامية - بكل معانى الكلمة - تنظر إلى الدين الاسلامى كدين يكفل سعادة البشر فى جميع مجالات الحياة ، و كدين كامل له تخطيطه الشامل للحياة و المدنية ، وصياغة للأجيال ، و سياسة للدنيا ، و حق التدخل فى كل قضية تمس دينه و مقاصده من قضايا الحياة الانسانية ، بل له أكثر من ذلك حق الوصاية والاشراف على سير الحياة ،

www.abulhasanalinadwi.org

و حق القيادة و التوجيه لركب المدنية ، وتنظر إلى الاسلام كدين خالد دافق بالحيوية ، زاخر بالقوة يساير كل عصر بل يسبقه ويحل كل مشكلة ، بل يمنع من وقوعها فى الحياة التى يسيطر عليها ، و فى البيئة التى له فيها الكلمة العليا .

أم هو دين عقيدة و إيمان فحسب ، وقضية شخصية لا شأن لها بالمدنية و تخطيط الحياة و سياسة التربية والتعليم و صياغة الأجيال وفق عقائده و قيمه ومثله ، و تشريع القوانين وحق التدخل فى الحياة ، فليبق المسلم مسلماً بالعقيدة و العبادة والاسم و القومية و الطقوس و التقاليد عند الولادة و عند الموت ، والتخطيط هو التخطيط الغربى الشامل ، والمدنية هى المدنية الغربية فى كل مظاهرها الخارجية والداخلية و الشخصية و الاجتماعية ، و القيم هى القيم التى يؤمن بها الغرب و دعا إليها فلاسفته و مفكروه ، و المثل هى المثل التى يقدسها الغرب و يكافح فى سبيلها ، و الأخلاق هى الأخلاق التى نشأت واختمرت فى البيئة الأوربية التى خضعت للمادية ،

www.abulhasanalinadwi.org

و كان للمسيحية فيها أثر ضئيل ، ثم أثر فيها العصر الصناعى التكنالوجى و التسابق الاقتصادى .

و يبدو للفاحص المطلع أن الغرب استفاد بتجاربه الطويلة المريرة فى محاولة القضاء على العقيـــدة الاسلامية و اجتثاث جذورها من قرارة قلوب المسلمين و تحويلهم عن دينهم بشكل سافر و الدخول فى ديانة أخرى كالنصرانية كما وقع فى أسبانيا ، و عدل عن فكرة التنصير الضيقة التى تثير الجماهير و تخلق مشكلات و قد تحدث موجة رد فعل عنيفة ، و ذلك فى ضوء تجاربه و دراساته ، عدل عنها إلى خطة تجريد المسلم عن شخصيته المتميزة الواسعة ، و عن حضارته التى نشأت و تكونت فى ظلال عقيدته و تعاليم القرآن و الآداب و الأخلاق الاسلامية ، و روعيت فيها التسهيلات لأداء واجباته و شعائره الدينيـــة ، و كانت خاضعة لتصور إسلامى خاص للطهارة - و هى أكثر من النظافة و أدق - و موازين خاصة فى مفهوم الاقتصاد والاسراف والتبذير ،

www.abulhasanalinadwi.org

و قد انبثقت هذه المدنية فى شكلها البدائى والأساسى ـ لا فى تفاصيلها و مظاهرها التى توسع فيها المسلمون وتأنقوا فى أوج حضارتهم و رفاهيتهم — عن تعاليم الشريعة السمحة و السنة النبوية المطهرة .

و الحضارة عميقة الجذور فى أعماق النفس الانسانية و فى مشاعر الأمة و أحاسيسها ، وتجريد أمة من حضارتها الخاصة التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، و كان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص ، وطابع هذه الأمة الخاص ، مرادف لعزلها عن الحياة و تحديدها فى إطار العقيدة و العبادة و الطقوس الدينية الضيق و فصل حاضرها عن ماضيها ، و أثر هذا التحويل كان عميقاً دائماً فى حياة الأمم و المجتمعات البشرية ، فانها ذابت تدريجياً فى بوتقة الأمم التى اقتبست منها هذه الحضارة بمعانيها الواسعة ، و كان انسلاخها عن العقيدة التى بقيت متمسكة بها سهلا .

وليس المقصود من إبراز ناحية خطر الحضارة الغربية

www.abulhasanalinadwi.org

و اقتباسها على الشخصية الاسلامية و كيان الأمة المسلمة هو تحريم الاستفادة من الحضارة الغربية فى مرافق الحياة و اقتباس بعض ما توصل إليه العلم و الصناعة و الاختراع فى الغرب من وسائل تسهيل و ترفيه ، و إغلاق الباب على مصراعيه ، فان ذلك لا يقوله عاقل فضلا عن مطلع على روح الدين و تعاليمه ، و الاسلام لم يزل و لا يزال واسع الأفق متفتح القلب والنظر فى الاستفادة بكل ما يصلح وينفع ، و لكن مفهوم الحضارة الغربية فى هذا المقال هو أوسع من اقتباس الآلات و المخترعات و التجارب المفيدة فى الحياة العامة ، إنها تشمل الأفكار و القيم و المفاهيم و المثل وصبغ الحياة كلها بالصبغة الغربية و التخطيط المدنى الشامل واقتباس أساليب الحياة التى لا تتفق مع تعاليم الاسلام و معاييره فى الطهارة و النظافة و الاعتدال و الاقتصاد و الوقوف عند الحدود التى رسمتها الشريعة الاسلامية ، و يعسر على المسلم معها التأدب بآداب الشرع والعمل بالسنن النبوية الكثيرة ،

www.abulhasanalinadwi.org

ويبتعد بها عن الحياة الاسلامية التى عاشها الرسول والصحابة و التابعون لهم باحسان ابتعاداً كلياً ، و تضفى على الأمة شخصية أجنبية لاتعرف فيها إلا بالأسماء الاسلامية أوبالأزياء التى لا تزال بعض الشعوب العربية أو الاسلامية محافظة عليها ، أو عندما يرتفع صوت الأذان من منائر مساجدها ، أو عندما تدخل فى المساجد على قلة عدد الداخلين فى بعض البلاد و كثرتهم فى بعضها ، فلا يربطها بالاسلام إلا خيط رقيق من عقيدة وتقاليد دينيـــة إذا انقطع هـــذا الخيط — لا سمح الله بذلك — انقطع كل شئ .

و أعتقد أنه من الميسور جـــداً الجمع بين التسهيلات المدنية و الاستفادة بالآلات و المخترعات و ما وصل إليه العلم الحديث ، و بين ما تمتاز به الحضارة الاسلامية من جمال و بساطة و جدية و عناية بالطهارة و النظافة والابتعاد عن الاسراف و التبذير و الاغراق فى المظاهر الخارجية ، إذا وفقت الحكومات الاسلامية و المجتمعات الاسلامية للتخطيط

www.abulhasanalinadwi.org

المدنى المستقل ، البعيد عن التقليد الأعمى والارتجالية ومركب النقص ، و إذا توفر عندها الذكاء والأصالة والايمان بفضل التعاليم الاسلامية والحضارة الاسلامية التى تنبثق عنها وتقوم عليها ، و الاعتداد بشخصيتها ، وكان هـذا التخطيط أجمل و أفضل و أكثر جلباً للأنظار و استهواء للقلوب و أبعث على الاحترام و التقدير ، و يؤم هذه المدن عدد أكبر من السياح بل من قادة الفكر و رواد العلم من العدد الذى يؤمها الآن من المتنزهين ، و ربما يكون هذا الطراز الجميل الأصيل من المدنية باعثاً لكثير من الأقطار الغربية على تقليد بعض هذه الجوانب و اقتباسها و على الأقل على التفكير فيها و تقديرها ، كما كان الشأن مع الحضارة الاسلامية الأندلسية التى كان لها تأثير عميق فى الحضارة الغربية و فلسفتها و آدابها .

و لكن مع الأسف الشديد لم يوفق لذلك قطر واحد من الأقطار الشرقية والغربية العربية والحكومات الاسلامية ، ولم تكن عند أحدها جراءة كافية تحملها على مجرد هذه التجربة ،

www.abulhasanalinadwi.org

و كانت النتيجة أن أصبحت هذه الأقطار كلها نسخة ناقصة من المدنية الغربية و صورة شاحبة لها ، لا تسترعى اهتمام الغربيين ولا تحرك فيهم مشاعر الاجلال والاحترام ، و إنما يقولون إذا زاروا هذه المدن متفرجين أو مشاهدين : « بضاعتنا ردت إلينا » .

و أشد من ذلك خطراً هو سياسة التربية والاعلام التى لا أداة أقوى تأثيراً وفعالية منها فى صياغة الجيل الصاعد و تكوين عقليته و مشاعره و أخلاقه و مثله ، فانها هى المرضعة و الحاضنة ، و هى المعلمة و المربية ، و هى التى تستطيع أن تنحت من أمة ذات عقائد و مبادىء و مثل ، أمة جديدة لا تتصل بآبائها إلا بالولادة و الدم و النسل و بالأسماء واللغة أحياناً ، بل أكثر من ذلك أمة ثائرة على هذه العقائد و المبادىء و المثل ، ترى من أول واجباتها محاربة هذه العقائد و المبادىء و المثل و إزالة هذه الأنقاض و الركامات ، و لو استنفد هذا العمل السلبى معظم جهدها

www.abulhasanalinadwi.org

و طاقاتها و أوقاتها و شغل البلاد و المجتمع بحرب مسعورة هى فى كثير من الأحيان أشد و أطول من الحرب مع الاستعمار و العدو الأجنبى .

إنها حرب إبادة معنوية أشد خطراً على الأمة من حرب إبادة نسلية أو جنسية ، لو ألهمها بعض قادة إبادة نسلية فى الماضى السحيق و ارتقت عقولهم و سياستهم إلى التفكير فيها و استخدام وسائلها ، لتوصلوا إلى غاياتهم من غير أن يشتهروا فى التاريخ بالقسوة و الوحشية و إراقة الدماء ، بل ربما أضفى عليهم التاريخ نعوتاً و ألقاباً مشرفة ، و وصفوا بنشر الثقافة و احتضان العلم و تشجيع المعارف .

إن قصة القيادات فى العالم الاسلامى فى هذه الفترة التى تمتد على نصف قرن ، هى قصة محاربة طبيعة الشعوب الاسلامية الدينية ومحاولة التخلص منها أو التغلب عليها بكل حيلة و وسيلة ، الحرب الشعواء التى أسفرت فى أكثر الأقطار الاسلامية عن الاخفاق والفشل ، ولكنها استهلكت

www.abulhasanalinadwi.org

جهود هؤلاء القادة وطاقات هذه الشعوب من غير أن تعود عليها بجدوى ، و قد كانت جهود أقل منها تقوم على معرفة هذه الحقيقة و تقرير هذا الواقع تعود على الأمة و البلاد بحاصل كبير و توفر الوقت و الجهد على هؤلاء القادة .

و قد دلت حرب التحرير فى الجزائر التى استخدمت الحماس الاسلامى و الايمان المودع فى هذا الشعب المسلم فى إجلاء المستعمر و تحرير البلاد ، و دلت المسيرة التى قادها جلالة الملك الحسن الثانى فى شوال ١٣٩٥هـ - نوفمبر ١٩٧٦م بمقدرة و حكمة وحققت الغرض المطلوب وكان لها دوى فى العالم كله ، على أن هذه الأمة لاتستجيب لدعوة ولاتتحمس لها إلا إذا اقترنت هذه الدعوة بصبغة دينية و مست قلوبها ومشاعرها الايمانية ، و أنها لا تفهم إلا لغة الايمان والحنان التى تخاطب القلوب قبل أن تخاطب العقول ، تجربة تكررت عشرات من المرات فى مشارق العالم الاسلامى و مغاربه ، فلا يسوغ المنطق السليم و العقل العملى حتى السياسة الرشيدة

www.abulhasanalinadwi.org

الواعية و القيادة الحكيمة العاقلة أن تتجاهل هذه القيادات هذه الطريقة السهلة للاستفادة من هذه الشعوب وتلتجيء إلى طرق و أساليب لا تتجاوب معها هذه الشعوب إلا مقهورة مغلوبة على أمرها ، و تضيع الوقت والجهد فى تحويل هذه الشعوب عن طبيعتها أو مصارعتها فى غير طائل ، و تكون العاقبة كما قال الشاعر :

و مكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

و من هذه القيادات قيادات تحب الاسلام و تجله و تفكر فى تطبيق تعاليمه فى مناطق نفوذها و تتمتع باحترام الشعوب التى تحكمها و بثقتها ، و لكنها مصابة بالتكاسل و التسويف ، و ضعف الارادة ، و التسامح الزائد للعناصر المحاربة للاسلام ، و فسح المجال لها للعمل والنفوذ فى مجال التربية و الاعلام و الصحافة ، فما يكون جزاء ذلك

www.abulhasanalinadwi.org

إلا أن هذه العناصر تنتهز أول فرصة لاقصاء هذه القيادات المسلمة الضعيفة ، عن الحكم و السيطرة على الجهاز الادارى و الحكومى ، وتقع هذه الشعوب المسلمة الوادعة تحت رحمة هؤلاء اللادينيين أو العلمانيين أو الشيوعيين ، و تساق إلى غايات و أوضاع لا تحبها و لا تتفق معها ، كما تساق القطعان من الغنم والخراف إلى زريبتها بعصا الراعى ، لا تملك من أمرها شيئاً ، و ما ذاك إلا بضعف هؤلاء القادة المسلمين و تكاسلهم و تضييعهم الفرص و تمكينهم لأعدائهم و أعداء الاسلام ، و على أنفسهم وبلادهم جنوا ، و هذه قصة بلاد قريبة من الأرض التى تتحدث إليها و ما الأمر بسر حتى يحتاج إلى اكتشاف .

و أرجو أن يستفيد المغرب الاسلامى العربى العزيز بجميع هذه التجارب القاسية التى مرت فى تاريخ الأقطار الاسلامية الشرقية و الغربية ، و الحوادث التى حدثت فى الماضى القريب ، و كما يقول الحديث النبوى الشريف :

www.abulhasanalinadwi.org

« السعيد من وعظ بغيره » .

و لا ينقذ هذه البلاد و هذه الأمة من هذه الأخطار الداهمة إلا القائد القوى الأمين ، و البطل العصامى الذى يضحى فى سبيل عقيدته و مبدئه ، بلذته و راحته ، و بكل ما يحبب إلى النفس من تمتع و رخاء ، و مدح و إطراء ، و ملك زائل و سلطان راحل ، و لا لذة فوق لذة الإيمان و الكفاح لانقاذ البلاد والعباد ، وحماية الاسلام و المسلمين ، و تأمين مستقبلهم ، و إرضاء الله ، و الانخراط فى سلك المجاهدين والمجددين الذين قيضهم الله لكل فترة حالكة و محنة قاسية ، و قد جرت سنة الله بأن يجزيهم بأعظم نصيب ، من شرف و كرامة ، و طيب الأحدوثة ، و انتشار الذكر فى الآفاق ، والخلود فى التاريخ ، و المحبة فى النفوس والقلوب ، يتضاءل أمامه و يتلاشى ما يطمع فيه الطامعون ، من جاه و منصب ، و ملك و سلطان ، و شهرة زائفة و دعايات مصطنعة .

www.abulhasanalinadwi.org

و تحياتى العطرة وتشكراتى الخالصة لاخواننا فى المغرب الحبيب الذين غمرونا بحبهم و احتفائهم و أخوتهم الاسلامية الصادقة و كرمهم العربى الأصيل ، و كانت الأيام القصيرة التى قضيناها بجوارهم و فى أرضهم الجميلة الزاهية من أجمل أيام العمر و من أطيبها .

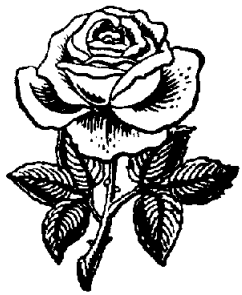

www.abulhasanalinadwi.org

وللمؤلف صدر حديثا:

المرتضى

سيرة أمير المؤمنين: سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرّم وجهه - في إطار قَبَليّ وشخصيّ وجماعيّ، ومبدئي وإداري. وفي ضوء دراسة تاريخية مقارنة محايدة، لما امتاز به من خصائص ومواهب وعبقريات، وتعاون جاد مخلص مع مَن سبقه في تولّي الخلافة، في صالح الإسلام والمسلمين، والسرّ في ما قدّره الله وحقّقه من توالي الخلفاء الراشدين بعضهم على إثر بعض، مع بيان جهود عظماء ذريته في قيادة المسلمين، ومحاولة تغيير صالح في منهج الحكم والإمارة، وإعادته إلى منهج الخلافة الراشدة، ودورهم الرائع البطولي في بلاد الإسلام وفي قرون مختلفة، في نشر الإسلام، وتزكية النفوس، وإصلاح المجتمع، وقيادة الحركات الجهادية والتحريرية في مختلف الأمكنة والأزمنة، مع نقد النظريات الدخيلة على الإسلام وتفنيد نسبتها إلى أهل البيت، واستغلالها لغايات مذهبية طائفية سياسية.

ملتزم النشر والتوزيع
المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء، ص.ب: ١١٩ لكناؤ الهند

www.abulhasanalinadwi.org